مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
مؤتمر اللغة العربية وآدابها الدولي الثاني // أربيل 30 - 31 / 7 / 2025
الجزء الثاني
أيلول / 2025
doi.org/10.52866/esj.2025.11

الثنائيات المتضادة
في شعر عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي (ت170هـ)

أ.د. إسراء خليل فياض حسين الجبوري
قسم اللغة العربية / كلية التربية - الجامعة المستنصرية
dr.israaaljuboori@uomustansiriyah.edu.iq

مستخلص:

إن هـذا البحـث يتنـاول الثنائيـات المتضـادة في شـعر عبـد الملـك بـن عبـد الرحيـم الحارثـي (ت170هـ)، جـاء البحـث في ثلاثـة محـاور وخاتمـة وقائمـة للمصـادر والمراجـع المعتمـدة في اعـداد البحـث ، كان المحـور الأول بعنـوان (نظـرة في الشـاعر ومسـيرته الشـعرية)، والثـاني بعنـوان (مفهـوم الثنائيـات المتضـادة) ، وجـاء الثالـث بعنـوان (الشـواهد الشـعرية –عـرض وتحليـل –) ، ثـم خاتمـة ، وخلـص البحـث الى نتائـج اهمهـا ان الشـاعر بـرز بثنائياتـه المتضـادة وفي سـياقات متعـددة ، كونـه مـن الشـعراء العباسـيين المحدثـين الذيـن أولعـوا بالبديـع ، وقـد حقـق الشـاعر الأبـداع الشـعري في أسـتنطاق فاعـل لتلـك الـدوال اللفظيـة المتضـادة ، في أبـداع شـعري يتخـذ مـن الـدوال والرمـوز أيقونـات شـعرية فاعلـة .

الكلمات المفتاحية: الحارثي، الثنائيات، المتضادة .

Opposing Binaries in the Poetry of Abdul Malik bin Abdul Rahim Al-Harithi (d 170 .AH)

Dr. Israa Khalil Fayyad Hussain Al-Jubouri
Department of Arabic Language / College of Education / Al-Mustansiriyah University
dr.israaaljuboori@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract :

This research deals with the opposing binaries in the poetry of Abdul Malik bin Abdul Rahim Al-Harithi (d. 170 AH). The study consists of three main sections, a conclusion, and a list of references. The first section is titled "An Overview of the Poet and His Poetic Journey," the second section is titled "The Concept of Opposing Binaries," and the third section is titled "Poetic Evidence - Presentation and Analysis." The research concludes with key findings, most notably that the poet excelled in employing opposing binaries in multiple contexts, being one of the modernist Abbasid poets who were fascinated with rhetorical embellishments. The poet achieved poetic innovation by effectively employing these contrasting linguistic signs, creating a poetic discourse that transforms words and symbols into powerful poetic icons.

Keywords: Al-Harithi, Binaries, Oppositions, Poetry.

مقدمــة

بسـم الله لرحمـن الرحيـم. الحمـد لله رب العالمـين والصـلاة والسـلام عـلى خاتـم الانبيـاء والمرسـلين وعـلى آلـه الطيبـين الصالحـين ، وصحبـه المنتجبـين ...

وبعـد .. نتحـدث في هـذا البحـث عـن الثنائيـات الضديـة في شـعر عبـد الملـك بـن عبـد الرحيـم الحارثـي (ت170هـ)، إذ قرأنـا شـعره ووجدنـا أن التضـاد بسـياقاته وأنواعـه المختلفـة، شـكلاً ملمحـاً مهيمنـاً وفاعـلاً في شـعره بمختلـف موضوعاتـه وأتخـذ بحضـوره المهيمـن أبعـاد مختلفـة بـرؤى شـعرية، وتشـكلات تصويريـة مختلفـة، ومـن هنـا أنبثقـت فكـرة البحـث. وجديـر بالذكـر أن الشـاعر باسـلوبه البلاغـي الرصـين غنـي عـن التعريـف بأمكاناتـه وطاقاتـه الأبداعيـة المتراكمـة، فجـاء البحـث في ثلاثـة محـاور وخاتمـة وقائمـة للمصـادر والمراجـع المعتمـدة في اعـداد البحـث، كان المحـور الأول بعنـوان (نظـرة في الشـاعر ومسـيرته الشـعرية)، والثـاني بعنـوان (مفهـوم الثنائيـات المتضـادة)، وجـاء الثالـث بعنـوان (الشـواهد الشـعرية –عـرض وتحليـل –)، ثـم خاتمـة عرضنـا فيهـا أهـم النتائـج التـي توصلنـا إليهـا في رحلتنـا البحثيـة هـذه، وختامـا نرجـو أن نكـون قـد وفقنـا في بحثنـا هذا. وأختيارنـا للشـواهد الشـعرية التـي أضفـت الأبـداع وعرضـت الجماليـات المتضـادة في شـعر الحارثـي.

المحور الأول :
نظرة في الشاعر ومسيرته الشعرية

هـو عبـد الملـك ، بـن عبـد الرحيـم الحارثـي ، يكنـى بـأبي الوليـد ، ويلقـب باللجـلاج ، ولـد سـنة 140 هـ[1]

وينسـب الحارثـي الى بنـي الحـارث بـن كعـب، وهـم بطـن مـن قبيلـة مذحـج اليمنيـة [2]، وقـد كان بنـو الحـارث بـن كعـب يسـكنون جنـوبي بـلاد الشـام، وشـمال شرقـي فلسـطين في منطقـة اللجـون ، وهـم مـن أشـد بطـون مذحـج مراسـا ، وأكثرهـم بأسـا .[3]

وللشـاعر أخ أسـمه سـعيد كان قـد قتـل في أحـدى المعـارك التـي نشـبت في ذلـك الوقـت أفرثـاه بثـلاث قصائـد[4]

قـال الحارثـي الشـعر في أغـراض متنوعـة، وكان الغلبـة لغـرض الهجـاء، ويـأتي الرثـاء بالمرتبـة الثانيـة، فضـلا عـن الغـزل والفخـر، والزهـد والحكمـة[5] وللنقـاد العـرب آراء في شـعره، فيفضلـه الأصمعـي عـلى محمـد بـن منـاذر، وجريـر والفـرزدق والأخطـل،[6] ويعجـب بـه ابـن المعتـز في طبقاتـه[7] تـوفي سـنة 170هـ.[8]

المحور الثاني:
مفهوم الثنائيات المتضادة

تعـد الثنائيـات المتضـادة احـدى المحـاور الاساسـية والفاعلـة في نسـج المعـاني الشـعرية واعطائهـا الهيمنـة والحضـور المتسـم بالتوليـد والعمـق الشـعوري المتواصـل، والمتناغـم مـع خصوصيـة التجربـة الشـعرية، والتـي تثـري النـص بمعـان جمـة أسـهمت في الأبـداع الشـعري والأسـلوبي ، وفجـرت الطاقـات الأسـلوبية والمعنويـة الكامنـة في اللغـة الشـعرية .

---

(1) ينظـر: وفيـات الأعيـان: 70/ 7، والمكاثـرة عنـد المذاكـرة :46.

(2) ينظر:وفيات الأعيان :70/ 7

(3) ينظر :جمهرة أنساب العرب:416، والأعلام :198/ 7

(4) ينظر ديوانه :33 ، 45

(5) ديوانه :22

(6) الشعر والشعراء :249/ 1، والأغاني 170/ 18

(7) طبقات الشعراء المحدثين :278

(8) طبقات الشعراء المحدثين :278

وتعد الثنائيات المتضادة إحدى اللبنات الأساسية في بناء اللغة الشعرية ، إذ تقف الالفاظ المتضادة أو ما يسمى بالطباق أو المقابلة على طرفي السياق النصي لتفجر من ذلك التضاد ، أو التباين المعنوي معان جديدة وصور شعرية منبثقة في ثراء شعري مستفيض يتناغم والتجربة الشعرية.[1] وقد تنبه العلماء العرب قديما الى القيمة الجمالية المنبثقة من هذا الفن فجعلوا باب الطباق ضمن المحسنات البديعية فالطباق فن اسلوبي أشتهر في كلام العرب وعد من الأساليب البلاغية الراقية في توليد المعاني وجمالية الألفاظ.[2]

والتضاد هو دلالة اللفظ الواحد على معنيين متضادين، والكلمات التي تؤدي الى معنيين متضادين بلفظ واحد، والتضاد ايضا هو ذكر كلمتين متضادتين في المعنى وفي الغالب يأتي هذا النوع من التضاد لتقوية المعنى وتوضيحه.

ومن ذلك الثراء المعنوي للتضاد تنطلق الملامح الأبداعية في الشعر ليثري السياق الشعري بمدلولات مستفيضة .

والثنائيات الضدية هو الأتيان بمعنيين أو أكثر، ثم ذكر أضدادهما، وأن يكون التقابل بالترتيب، والتقابل البلاغي من الأساليب المبرزة في علم البديع، وتضيف للنص لذة ومتعة فهو أسلوب بلاغي بديعي، وهو أداة فنية»[3].

فالتشكيل الضدي التقابلي هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى ويكونان اسمين أو فعلين أو حرفين او جملتين، وهذا من أهم المحسنات البديعية وأروعها.[4] ، والطباق يقسم الى قسمين: طباق الايجاب ويكون بالأثبات لكلا الطرفين والاتيان بمعنى مضاد له في الطرف الاخرمثل: أضحك وابكى ، أما طباق السلب فهو الجمع بين كلمتين أحدهما منفية والاخرى مثبتة ، مثل يعلمون ولا يعلمون .[5]

وعموم القول نجد ان الثنائيات اذا كانت بين لفظتين فهي طباق ، واذا كانت بين جملتين فهي مقابلة .[6] ومن خلال توظيف الكاتب للثنائيات في شعره فانه يجسد حالة من التناسق والانسجام بين الالفاظ والمعاني .[7]

ولابد من الاشارة الى ان ابرز العوامل التي تؤدي الى التداخل الدلالي الذي يعطي للفظ الواحد معنى الضد وهو دلالة اللفظ على العموم كأن يكون للكلمة معنى عام ثم يتخصص مثل الطرب التي تعني الخفة تصيب الرجل لشدة الفرح او الحزن ثم تخصصت بالفرح ، وبذلك فأن هناك اسباب متعددة للاضداد منها الصوتي ومنها الاشتقاقي ومنها الدلالي.

ومن خلال ثنائية التشابه والاختلاف الكامنة في معنى التضاد انبثقت فكرة البحث بعد قراءة شعر الحارثي الذي جاء شعره انعكاسا لتلك القوى االشعرية الكامنة في شخصه ، فوجدنا المدلولات الشعرية المتراصفة والمتراكمة في شعره شاخصة

---

(1) ينظر :كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ابو هلال العسكري :316

(2) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر احمد عصفور، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1974م:17 .

(3) م.ن: 17

(4) البلاغة الاصطلاحية :295

(5) التصوير الشعري، عدنان حسين قاسم، ط1، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع ليبيا :45 .

(6) م.ن: 46

(7) وهج العنقاء ، دراسة فنية في شعر خليل الخوري، ثامر السوداني، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2001م :33 .

للاعين في مختلف اغراضه الشعرية .

المحور الثالث: الشواهد الشعرية - عرض وتحليل -

وسنقف في هذا المحور على النصوص الشعرية وقفة تحليلية استنطاقية حوارية مع النص الشعري بمتضاداته المختلفة وفي سياقات نصية مختلفة ، من خلال العرض التحليلي، ومن ذلك قوله في هجاء المكان :[1](من الكامل)

دارٌ يهابُ بها اللئامُ وتتقى
وتقلُ فيها هيبةُ الكرماءِ
ويقولُ علجٌ ما أرادَ ولا ترى
حرًا يقولُ برقةً وحياءَ

أن الطباق في هذا النص يتجسد من خلال التضاد أو طباق الأيجاب بين لفظتي (اللئام، والكرماء) مما يحقق الأثر الفاعل في نسج السياق النصي الهجائي للمكان الذي يهاب فيه اللئام، وتقل هيبة الكرماء فيه، وقد أسهم الابداع الثنائي الضدي في رصف تلك المعاني الهجائية التي رسمت قوام المكان وجسدت عيوبه .

ومن ذلك قوله في الحكمة :[2](من الطويل)

إذا ما عممتْ الناسُ بالأنسِ تزلْ
لصاحبِ سوءٍ مستفيدا وكاسبَا
فأن تقلهمْ يرموكَ عن قوسٍ
فكنْ خلطا أن شئتَ أو كنْ مجانبا
فلا تدنونَ منهم ولاتقصينَهم
ولكن أمرًا بين ذاكَ مقاربا
فأن كانَ ما تهوى قبلتَ وأن لمْ
سوى ذاك لم تسددْ عليكَ المذاهبا

يوظف الشاعر التضاد اللفظي بين الألفاظ (خلطا) و(مجانبا) و(تدنون) و(تقصون) ليحقق من هذا التضاد اوالطباق الأيجابي ، الأبداع السياقي النصي الذي يجسد معاني الحكمة الكامنة في النص .

وقال في العتاب: (من الطويل)[3]

إذا ما رآكَ لم ترعَ حرمتِي
رأوا ما ترى إذ أنتَ أولى وأقربُ
فلا تجعلنْ رفضي لغيركَ حجةً
فيدلي بها الجافي عليَ المقربُ
ولا تتركني بالذي أنتَ صانعٌ
كأني ولم أذنبْ الى الناسِ مذنبُ
...
فها أنا كالراضي وإن كنت
عليكَ لأنْ لم أرجُ عتبي فأعتبُ
سأكظمُ غيظًا دونهُ الصفحُ ناظرا
إليك بعيني مغضبٌ ليسَ يغضبُ

يوظف الشاعر طباق السلب في تراكم دلالي مكثف المتضمن في معاني الرجاء وعدمه في قوله (لم أرج عتب) ، و(أعتب) ، (ولم أذنب) و(مذنب) و(مغضب) و(ليس يغضب) فضلا عن طباق الايجاب بين (الجافي والمقرب) ليحقق من ذلك التضاد معاني العتاب للصديق ، محققا من ذلك التضاد سياقا تجسيميا فاعلا من خلال الصور الشعرية المتحققة في النص .

ومن التضاد قوله في الحكمة : (من الطويل)[4]

الأ إنما الدنيا على المرءِ فتنةٌ
على كلِ حالٍ أقبلتْ أم تولتْ

في هذا النص تتولد الصورةالشعرية من ثنائية (أقبلت وتولت) المتجسدة من خلال البنية

(1) ديوانه :59
(2) ديوانه :61
(3) ديوانه:63
(4) ديوانه :66

الأستعارية التجسيمية والتي تجسد حال الدنيا، ومن هنا تتولد الصورة الشعرية، الموازية لمعاني الحكمة ، والتي تعطي القصيدة الحياة والخلود.

وقوله في وصف الخال :[1] (من مخلع البسيط)

كأنهُ نقطةٌ بمسكٍ
لائحةٌ في بياضِ عاجِ

يوظف الشاعر في هذا النص الثنائية اللونية المتضادة بين اللونين الاسود والابيض في سياق شعري يتخذ من التشبيه عنصرا فاعلا ومتميزا في وصف تلك المحاسن الشاخصة في الحبيبة ، فالاسود والابيض يدلان على لون الخد الأبيض ولون الخال الأسود ، وبذلك نجد ان الثنائية اللونية اسهمت في رفد النص بالشحنات الدلالية الفاعلة. وتنتقل الدلالة اللونية المتضادة بين السواد والبياض الى الاشتقاق اللوني من هذين اللونين فتتولد الصورة التشبيهية حيث نقطة المسك في بياض العاج .محور هذه النص حول مخاطبة الآخر (المراة) بكيانها الوجداني الغائب عن عالم الشاعر المادي الحاضر في خلجاته الوجدانية المتأرقة ، (الطيف) وتتوالد الصور البلاغية لتكون معادلا موضوعيا للاخر المراة ، فتكون تلك العناصر الجزئية آخراجزئيا متولدا من الآخر الاساس. ومن خلال الاسترجاع الوجداني لمحاسن الحبيبة تتوالد الصور الشعرية المنبثقة من الآخر الأساس (الحبيبة) فتكون الحبيبة عنصرا جماليا حسيا منبثقا من كينونتها الجمالية. وقد ابدع الشاعر في تشكيل الصورة الشعرية بالطاقة التشبيهية.

وقوله في الحكمة : (من الطويل)[2]

وما أكتأبتْ نفسٌ فدامَ اكتئابُها
ولا أبتهجتْ نفسٌ فدامَ إبتهاجُها

يوظف الشاعر الثنائيات المتضادة المتجسدة في طباق الأيجاب (إكتئابها وإبتهاجها) ليجسد بتلك الثنائيات، معاني الحكمة وقد تمثلت تلك المعاني من خلال السياق الأستعاري التجسيمي المتجسد في النص من خلال الصورة الحسية البصرية المتحققة بهذه الثنائية الضدية المتضمنة معنى الهدم والبناء. ولاشك ان التكرار الفونيمي المتمثل في تكرار الحروف المتشابهة اسهم في الابداع الدلالي والصوتي.

وقوله ، في الصديق وغدره : (من المتقارب)[3]

فمنْ كانَ ذا صاحبٍ مفرحِ
فها أنا لي صاحبٌ مترحُ
أسرَ لي الغشَ في نفسهِ
وأظهرَ لي أنهُ ينصحُ
فلما قبلتُ الذي عندهُ
يقينا وأوضحهُ الموضحُ
نفرتُ بهِ والجوادُ العتيقُ
إذا ريعَ يعزمُ أو يرمحُ
فدونكَ فاجمعْ فكمْ جامح
أقرَ فأصبحَ لا يجمعُ
...
أخذتَ الخسيسَ وبعتَ النفيسَ
وأنتَ بذاكَ وذا مسمحُ
فلا أنتَ تفلحُ فيما أخذتَ
ولا ما تركتَ ولا تنجحُ
وليسَ لما أفسدَ الدهرُ منك
فلا يرجُ إصلاحهُ مصلحُ

يسلط الشاعر الضوء على الصفات المتجسد في ثنائيات متعددة (أسر وأظهر، أجمع لايجمع، الخسيس والنفيس، تركت وأخذت، أفسد وأصلح)) ليرسمها بصورة استعارية تشخيصية، اذ حققت

(1) ديوانه :67
(2) ديوانه :69
(3) ديوانه :32

الاستعارة المكنية بقوله (أفسد الدهر وأصلح، الحياة المتدفقة في قصيدته من خلال عتاب الصديق المتواصل، ولاشك ان تلك الثنائيات حققت معاني العتاب الماثلة في النص برؤية استعارية تجسيمية ولدت نمطا صوريا في رؤية شعرية. ان التداخل الحسي الصوري واضح في النص من خلال الصور الأستعارية التي اسهمت في الابداع الصوري .

وقوله : (من الطويل)[1]

إذا لم يكنْ للحبِ بقيا تكفهُ

ترامى وعادَ اليسرُ من أمرَ عسرا

وللحبِ قدرٌ يصلحُ العيشُ عندهُ

ويفسدُ طعمُ العيشِ إن جاوزَ القدرا

يتخذ الشاعر من طباق الأيجاب بين (اليسر والعسر) رمزا وكناية تجسد معاني الحكمة، ولاشك أن الثنائيات الضدية جسدت اليسر الذي يعقب العسر. وقد جسد الشاعر تلك المشهدية التصويرية تجسيدا تصويريا في صور حسية ناطقة. ولاشك أن هذه الصورة أسهمت في رسم الصورة العقلية رسما حسيا مجسدا بالحاسة الذوقية (ويفسد طعم العيش) في الوقت نفسه .

وقوله في الحكمة : (من الوافر)[2]

طوى العصران ما نشراهُ مني

فأخلقَ جدتي نشرٌ وطيُ

أراني في أنتقاصٍ كلَ يومٍ

ولا يبقى على الحدثانِ شيءُ

لقد برز توظيف الثنائية (نشر وطي) هنا في انزياح وعدول شعري ودلالي مستفيض، لتجسيد ثنائيتي الشيب والشباب، اذ يوظف الشاعر في هذا النص الثنائية المتضادة ليشير وبنسق ضمني الى ثنائية الشيب والشباب أو البياض والسواد في سياق شعري يتخذ من الكناية او التجاور الدلالي عنصراً فاعلاً ومتميزاً في وصف تلك التداعيات والتحولات اللونية، فضلا عن الانبثاقات اللونية المتولدة منها كالليل والنهار، وبذلك نجد ان الثنائية اللونية اسهمت في رفد النص بالشحنات الدلالية اللونية المتعددةو الفاعلة، في تجسيد المعاني النصية .

ومن الثنائيات االتي تجسد الحكمة قوله :[3] (من المتقارب)

إذا ما أهانَ أمرؤٌ نفسهُ ... فلا أكرمَ اللهُ من يكرمهُ

يوظف الشاعر الطاقة الشعرية المتجسدة من خلال ثنائيتي (الأهانة والكرامة)، موظفا تلك الثنائية باسلوب شعري وعلاقات دلالية استبدالية حيث الأهانة والكرامة. في إشارات مدحية وطاقات وعظية .

ومن المعاني في العتاب، قوله : [4] (من الطويل)

وكذبتُ طرفي عنكَ والطرفُ

وأسمعتُ فيك أذني مالمْ تسمعُ

ولم أسكنْ الأرضَ التي تسكنَها

لئلا يقولوا صابرٌ ليسَ يجزعُ

يتكرر هذا المعنى بدلالته الشعرية المرتبطة في الثنائيات الضدية الشعرية ليحقق دلالة نصية في قوله (أسمعت مالم تسمع) (وصابر ويجزع) ومن هنا تتجسد الصورة الشعرية وابدع الشاعر في توظيف الواو المحققة لأسلوب الوصل، فضلا عن وجود اسلوب الفصل الذي يؤكد تلك الحتمية الوصفية، فالخيال البصري استدعى ذلك الابداع الدلالي الحسي، ليولد منه الصورالكنائية المتوافقة مع الصفات المثلى الشاخصة في الآخر الموصوف. وتتآزر

(1) ديوانه :206
(2) ديوانه :130
(3) ديوانه : 129
(4) ديوانه :123

الحواس المختلفة في هذا النص بصيغة أستعارية تتمثل في الثنائية الحسية المتعامدة، ثم تتوالى المشهديات الوصفية لتجسد صورة لتتوالد الحواس المختلفة مع الحاسة البصرية، كالحاسة السمعية المتوالية ، ولاشك ان تكرار فونيم السين أسهم في رفد النص بطاقات وشحنات صوتية تنسجم والقافية الميمية المنسجمة والدلالة النصيةأفضلا عن الابداع الدلالي المتجسد من خلال الاسلوب الأخباري . وهو بتلك الصور الشعرية الحسية أراد أن يكسر أفق التوقع ويخرج عن المألوف ليخرج بالصورة البصرية السمعية الحسية الى آفاق رحبة وواسعة .تجتمع في هذا النص الصور الحسية حيث الصورة البصرية والسمعية وان هذا التفاعل الواضح والامتزاج في الصورالحسية المتتالية اسهم في رفد المشهدية الوصفية التصويرية بالحركة المنسجمة والسياق الوصفي. وقد حقق الشاعر ثبوت الرؤية البصرية المرياتية والتي جسدها بالرؤيا السمعية البصرية أو الرؤية المراياتية .

وقوله في الحكمة : (من الطويل)[1]

يفرُ جبانُ القومِ عن أمّ رأسهِ
ويحمي شجاعَ القومِ من لايناسبهُ
ويرزقُ معروفَ الجوادِ عدوهُ
ويحرمُ معروفَ البخيلِ أقاربهُ

وتبرز الثنائية في معاني الفخر والهجاء والمدح مجتمعة ، اذ يوظف الشاعر ثنائية (الجبن والشجاعة) و(الجود والبخل) ليحقق معاني المدح الاصيلة الشاخصة في الممدوح، ولاشك ان تلك المعاني لاتأفل لأن الممدوح سجاياه خالدة لاتأفل. ومما يجسد تلك المعاني المدحية الثابتة في الممدوح الأتيان بضدها في المهجو فالثنائيات كانت عاملا فاعلا في بروز تلك الطاقات المدحية المتراكمة .

وقال في المدح : (من السريع)[2]

إذا عفا لم يكْ في عفوهِ ... من ولا يكدرُ نعماهُ
وإن سطا عاتبٌ ذا جرمٍ ... بقدرهِ لا يتعداهُ

وتبرز الثنائية الوصفية (العفو والسطو) في مشهديات تصويرية متعددة من خلال، ولاشك ان تلك الصور ماهي الاكنايات عن انتصارات الممدوح ولاشك أن الثنائيات الضدية جسدت شوق المتلقي لذلك الظهور الذي يعقبه الخفاء ولاشك ان ذلك الخفاء ناتج من زحام غمار الوغى ورهج الحرب وذلك الأمر دليل قاطع على شجاعة الممدوح وأستبساله. وقد جسد الشاعر تلك المشهدية التصويرية البصرية تجسيدا بصريا). وبذلك تتلاقح الحواس المختلفة في نسج الصورة الشعرية. وتتوالى الصور الحسية. ولاشك أن هذه الصورة الشعرية أسهمت في رسم الصورة العقلية رسما حسيا مجسدا بالحاسة البصرية المضمرة في الوقت نفسه .وتتمثل من خلال هذا النص صور حقيقية تجسد مدح الممدوح من خلال الثنائيات الضدية المتعامدة ، والشاعر يريد أن يقرب تلك الصور الحقيقية فيأتي بصورة دعائية تقرب للمتلقي ذلك المشهد وهي صورة الخطبة والدعاء للممدوح ولاشك أن تلك الصورة الودية قربت صورة الشعور الوجداني بين الشاعر والممدوح من المحبة. ولاشك ان الحروف المهموسة وتكرارها في النص اسهم في رفد المعنى بالشحنات والطاقات الشعرية المتفاعلة مع السياق النصي .

وتتحقق الصورة البصرية في هذا المعنى المدحي من خلال الصورة الاستعارية المتحققة في الشطر الثاني من خلال التعامد الضدي الثنائي والذي يجسد صيت الممدوح المتحقق في الرؤية البصرية

(1) ديوانه :177

(2) ديوانه:110

المجازية ، وقد أسهم التضاد الى تحقيق هذه الصورة الشعرية البصرية، وتقوم هذه الصورة الشعرية الأستعارية على توظيف حاسة البصر لتحقيق صورة الممدوح .

وقال في الفخر بالشاعرية والمدح : (من الطويل)[1]

تعطلنْ الأ من محاسنِ أوجهٍ

فهنْ عوارٍ في الصفاتِ عواطلِ

كواسٍ عوارٍ صامتاتٍ نواطقٍ

بعفِ الحديثِ باخلاتٍ بواذلِ

برزنَ عفافا واحتجبن تسترا

وشيبَ بقولِ الحقِ منهنَ باطلِ

فذو الحلمِ مرتابٌ وذو الجهلِ طامعٌ

وهنَ عن الفحشاءِ صيدٍ نواكلِ

ويوظف الشاعر ثنائيات متعددة (العواري والكاسيات، الصامتات النواطق، الحق الباطل، الحلم والجهل) ليحقق معاني الفخر بالشاعرية المتجسدة بصورة حسية بصرية سمعية في سياق شعر ي مجازي من خلال التوظيف الأستعاري وما يضفيه من جمالية تصويرية تثري النص وتبدع في رسم ملامحه التصويرية الناطقة.

وقوله :من الطويل :[2]

شريفٌ بجديهِ ، وضيعٌ بنفسهِ

لئيمٌ محياهُ ، كريمٌ المركبِ

ان الشاعر هنا يوظف ثنائيات متعددة (كالشريف والوضيع، واللئيم والكريم بصيغ مجازية إبداعية بقوله (شريف بجديه، ووضيع بنفسه)، و(لئيم محياه، وكريم المركب) ليحقق استنهاض عدل الممدوح الذي اصبح ظلا وافرا مما يحقق شمولية ذلك المدح المستفيض والوفير. فهو يحقق من خلال جمع المتضادات مفارقة تصويرية تنبت أنبثاق تلك المتضادات في ذات الممدوح . ولاشك في ان تلك الصورة انبثقت من نفس الشاعر المتاملة في عطاء الممدووح وتلك الدلالة السيميائية المتخفية وراء تلك الصور الشعرية وتتضح هذه الرؤية من خلال هذه المتضادات بين ومن خلال الأبداع التقسيمي الصوتي والذي يحقق صورا إبداعية . والجدير بالقول ان الطاقة البصرية اسهمت في رفد الصورة بالطاقة الشعرية الثرة .

وقال : من الطويل :[3]

بنو عمِ روحٍ مسكٌ وعنبرُ

وروحٌ مصنٌ ريحهُ ريحَ جوربِ

فإن يكن (معن) زان شيبان

فقد شانَ (روحَ) أمرُ آلَ مهلبِ

في هذا النص يوظف الشاعر المتضادات في رسم صورة الممدوح والمهجو ، في إبداع تقابلي متوازن ، ليحقق من خلال هذه الثنائيات اوذلك التضاد ا مناقب الممدوح وسجاياه المتميزة ، وعيوب المهجو ومثالبه القبيحة ويجليها امام المتلقي .

فالصورة الشعرية هذا النص إكتسبت ملمحاً شعريا مزدوج السياق، فكان ذلك الأزدواج السياقي المتضاد والمتقابل بين غرضين نقيضين عاملا فاعلا في رفد النص بالطاقات الضدية المتقابلة . كل تلك الالفاظ شكلت الصورة لمدحية الثرة بمعطياتها المعنوية المدحية المتخذة من تلك الايماءات اللفظية لونا مشتركا دلاليا فاعلا يجسد معاني الشجاعة والبأس، ولاشك ان الشاعر لم يحقق في هذا البيت رسما مدحيا مباشرا بل ان صورته المدحية غير مباشرة في توظيفها للألفاظ المتضادة لتوليد الجزئيات الهجائية بالمقابل.

(1) ديوانه :102

(2) ديوانه :64

(3) ديوانه :41

وقوله : من مجزوء الكامل :[1]

ولربما هاجَ الكبيرُ ... من الأمورِ لكَ الصغيرُ
ولرب أمرٍ قدْ تمض ... يقُّ به الصدورُ ولا يضيرُ

فالدلالة الضدية بين الكبير والصغير ، المنبثقة من الصورة الكنائية جسدت معنى العمق الذي أفضى الى الحيز المكاني المجازي ، وقد عمد الشاعر الى تأكيد ذلك المعنى الذهني بتشبيه ضمني تشكلت في بواطنه صورة كنائية للأمور الحياتية وما يشير اليه من الحياة المنبعثة من التراكم المعرفي المنبعث ودلالته السيميائية المتدفقة عطاء وحياة نابضة، وما يحمله من اشارة كنائية موازنة وما تضفيه من جمالية تصويرية أثرت النص وابدعت في رسم ملامحه التصويرية الناطقة.

وقوله :من الرمل :[2]

ما على العذالِ لو نظروا
ثم لاموا فيكَ أو عذروا

يوظف الشاعر في هذا النص الثنائية المتضادة بين اللوم والعذر في سياق شعري يتخذ من الكناية او التجاور الدلالي عنصرا فاعلا ومتميزا في وصف تلك المحاسن الشاخصة في الحبيب ، وبذلك نجد ان الثنائية الشعورية أسهمت في رفد النص بالشحنات الدلالية الفاعلة .

وقوله : (من الهزج)

صبرتُ النفسَ لا أهل ... عُ من حادثةِ الدهرِ
رأيتُ الرزقَ لايكس ... بُ بالعرفِ لا النكرِ
ولا بالعقلِ والدينِ ... ولا بالجاهِ والقدرِ
ولا بالسلفِ الأمث ... لِ أهلُ الفضلِ والذكرِ
...
ولا يدركُ بالطيشِ ... ولا بالجهلِ والهذرِ
ولكم قسمٌ يجري ... بما ندري ولا ندري

يوظف الشاعر ثنائية ندري ولاندري بصيغتها المستمرة التي جسدتها الصيغة الفعلية للفعل المضارع الذي جسد تلك الصفتين المتضادتين في الدلالة ، لكنهما في هذا النص والسياق االوصفي كانت أحداهما سببا في وجود الأخرى وقد حقق الشاعر في هذا النص دلالة الايمان بالقضاء وحتميته.

وقال يرثي أخاه سعيدا : (من الطويل)[3]:

وأني لأربابُ القبورِ لغابطِ
بسكنى سعيدٍ بين أهلِ المقابرِ
واني لمفجوعٍ بهِ إذ تكاثرت
عداتي ولم أهتفْ سواهُ بناصر
فكنتُ كمغلوبٍ على نصل
وقد حزَ فيهِ نصلُ حران باترِ
أتيناه وزارا فأمجدنا قرى
من البثِ والداءِ الدخيلِ المخامرِ
وأبنا بزرعٍ قد نما في صدورِنا
من الوجدِ يسقى بالدموعِ البوادرِ
ولما حضرنا لأقتسام تراثه
أصبنا عظيماَت اللهى والمآثرِ
وأسمعنا بالصمتِ رجعَ جوابهِ
فأبلغْ بهِ من ناطقٍ لم يحاورِ

يعرج الشاعر الى معجم الفاظ الحزن ليحقق معاني الحياة والموت المتحققة في النص الرثائي من خلال التدفق الدلالي المتحقق من خلال البنية الكنائية والثنائية الضدية في قوله (وأني لأرباب القبور لغابط)، فمن ذلك التجسيم التصويري تحققت صورة الحزن على المرثي من خلال الثنائيات الضدية التي تشير الى الحياة والموت وقد ابدع الشاعر في توظيف تلك الثنائية في بيان دور المرثي وفاعليته

(1) ديوانه :74
(2) ديوانه :74
(3) ديوانه :54

في حياته من خلال تلك الثنائيات بألفاظها المختلفة. وهويسلط الضوء على سجية الحزن ويذكر صفاته التي بين، لتجسيد الحياة والموت في صور ابداعية مختلفة. لتكون معادلا موضوعيا لمعاني الحياة والموت المتجسدة في بنية ضدية تعامدية، ولاشك ان السياق الرثائي وما يجمله من مفارقة في غبطه لاهل المقابر هنا جسد ثنائية الحياة والموت باسلوب يختلف تماما عن توظيفه للثنائية عينها فيسياق آخر، اذ نجد في السياق المرثي = الحياة .

وقوله : من مخلع البسيط :[1]

الشوقُ يزدادُ كلَ يومٍ
إليكَ والجسمُ في إنتقاصِ

يوظف الشاعر ثنائية (الأزدياد والأنتقاص) المتضادة لتحقق بحضورها السياقي الفاعلية الفعلية المتمخضة عنها والتي تحقق المشاعر الوجدانية تجاه الآخر وحركاته الفعلية المتضادة في صورة شعرية دالة ، ولاشك ان الثنائيات الضدية أسهمت في رفد النص الشعري بالتضاد الحركي وذلك التضاد الحركي يولدبالطبع تلك السجايا النبيلة النادرة، ويبرز التضاد الحركي التعامدي في هذا النص بين الجملتين المتقابلتين في ا لبيت الشعري ليجسد التضاد الحركي المتجسد في المتلقي الذي انعكست عليه. ولاشك ان التقسيم الصوتي السجعي المتوازن بين الشطرين أضفى ابداعا صوتيا مجلجلامنسجما، فضلا عن ذلك ماحققته الفونيمات الصوتية المجلجلة من قوة صوتية متراكمة مثل فونيم القاف والراء، وماحققه الفصل من دلالة شعرية واضحة بصفاتها المتعددة. وتتجسد الصور الشعرية من خلال ثنائية القرب والبعد في تعامد ضدي وانبثاقهما وتجليهما ، في رؤية متضادة حيث الأنتقاص والزيادة ، وتتجلى الرؤية التصويرية في تلك المشهدية المحققة لعمق التجربة الوجدانية الحزينة وألمها لتحقق صورا تتداخل الحواس التصويرية في هذا النص الوجداني الذي يجسد حالة الشاعر لتحقق الابعاد الحسية لما هو مجرد معنوي.

وقال في الهجاء (من الطويل)[2]

فما أنت لولا أنَ بردكَ رائقٌ
وأنكَ عالي المنكبينِ مخلطُ
فأن فلتَ في النادي أنا ابنُ محمدٍ
فقد يلد الجلفُ النجيبُ العشنطُ[3]
رأيتكَ تنسينا بفعلك ذكرهُ
ويذكرناه الرهثميُ العنطنطُ[4]
غلامٌ بناءُ الحمدِ والجدِ همهُ
وهمكَ مزمارٌ وراحٌ يربطُ
وما زالَ يسمو عالي الكعبِ صاعدا
وما زلتَ تجري مذ كنتَ وتهبطُ

وجسد الشاعر في هذا النص معاني الهجا الماثلة في المهجو ، وقد استطاع الشاعر الوصول الى هذه المعاني الهجائية من خلال التضاد الحركي بين الافعال ، والرؤية الشعرية الخاصة التي ساوت بين هذين الأضداد ، ولاشك ان الشاعر كان مجددا في رصد الصور الكنائية ورسمها ليحقق المعنى من تلك المتضادات الحركية المتجانسة مابين (الحركة، السكون والسير والاستقرار). وتتمظهر في هذا النص اكثر من حاسة لرسم الصور الشعرية المتعاقبة والتي تمثل المشهدية الوصفية الهجائية بصورة حية متحركة ، اذ يستهل الشاعر مشهدياته بصور بصرية

(1) ديوانه :75

(2) ديوانه : 80 .

(3) العشنط : هو الظريف الحسن الطويل ألسات العرب مادة عشنط .لسان العرب .

(4) العنطنط : طويل العنق حسنه .مادة عنط لسان العرب.

مجازية تترجمها حركية الأفعال المسندة الى الفاعل ليحقق صورة كنائية ، ليتجسم أمامنا صورة المهجو في تعاقب استداري للحواس المتوالدة من بعضها في تشكيل المشهدية التصويرية المتكاملة للمهجو . ويسهم التكرار الفونيمي لفونيم القاف المتكرر في التواصل الايقاعي المنسجم مع التواصل التصويري المتجانس .

الخاتمة :

خلص البحث الى نتائج اهمها ان الشاعر برز بثنائياته المتضادة وفي سياقات متعددة ، كونه من الشعراء العباسيين المحدثين الذين أولعوا بالبديع، وقد حقق الشاعر الأبداع الشعري في أستنطلق فاعل لتلك الدوال اللفظية المتضادة ، في أبداع شعري يتخذ من الدوال والرموز أيقونات شعرية فاعلة في تجسيد دلالة المدح ، والغزل والهجاء ، والوصف ، وكان للثنائيات المعنوية بتوظيفها المجازي الفاعلية الثرة في الأبداع التصويري الشعري ، الذي الأثر الفاعل في رفد النص الشعري بالصورة الفاعلة وفق السياق النصي .

المصادر والمراجع :

1. الأعلام ، خير الدين الزركلي (ت1296هـ)، بيروت، 1979م .
2. الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني (ت356هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة.
3. البلاغة الاصطلاحية ، د.عبد العزيز قليقلة ، دار الفكرالعربي ، القاهرة ، ط3 ، 1992م .
4. التصوير الشعري ، عدنان حسين قاسم ، ط1، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع، ليبيا .
5. جمهرة أنساب العرب.ابن حزم الأندلسي ، تحقيق ، عبد السلام محمد هارون .د.ت .
6. الشعر والشعراء، لأبن قتيبة ، تحقيق د.عمر الطباع ، شركة دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1997م .
7. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، جابر احمد عصفور ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1974 .
8. طبقات الشعراء المحدثين ، عبد الله بن المعتز (ت296هـ) ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف ، القاهرة .1956م.
9. عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، حياته وشعره ، د.عباس هاني الجراخ ط1 ، 2007م ، دار الينابيع ، دمشق .
10. كتاب الصناعتين الكتابة والشعرأبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي .
11. المكاثرة عند المذاكرة، لجعفر بن محمد الطيالسي، تحقيق إسماعيل بن أحمد الجرافي وزميله، بيروت، 1978م .
12. وفيات الأعيان، أحمد بن خلكان (ت 681هـ)، تحقيق د.إحسان عباس، دار الثقافة،

بـيروت، 1968م.
13. وهـج العنقـاء، دراسـة فنيـة في شـعر خليـل الخـوري، ثامـر السـوداني، ط1، دار الشـؤون الثقافيـة العامـة، بغـداد ، 2001م.